

رواية

المشروع ميادة

"فخ الحنين"

بقلم/ العجوز



الكتاب: المشروع ميادة فخ الحنين

النوع: رواية

المؤلف: محمد العجوز

التصحيح اللغوي: فريدة أشرف

تصميم الغلاف: مروة صلاح

التنسيق الداخلي: أحمد جمال شاهين

الطبعة الأولى: 2026

رقم الإيداع: 2026 / 4714

الترقيم الدولي: 9 - 40 - 8490 - 633-978

الناشر: دار انطلااق للنشر والتوزيع

مدير الدار: أحمد مكي

تليفون الدار: 01155799321

بريد: للتواصل: startpublishing372@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©

وأي اقتباس، أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية، يُعرض صاحبه للمساءلة القانونية؛ أما حقوق الملكية الفكرية والآراء والمادة الواردة في الكتاب فهي خاصة بالكاتب فقط لا غير.

الإهداء

إلى كل من التهمته شاشات الذكريات، وظن أن الخلاص
يكمن في كود برمجي.

إلى الذين علقوا في 'فخ الحنين' ولم يجدوا المخرج بعد..
إلى ذلك الصوت الذي يهمس في رؤوسنا ليلاً، يخبرنا أن
الأمس كان أجمل..

لا تصدقه.. إنه الفخ....

العجوز

الفهرس

9.....	المقدمة: السطر صفر
12.....	الفصل الأول: أشباح المنيا الجديدة
17.....	الفصل الثاني: متلازمة الصّدى
22.....	الفصل الثالث: غرفة بلا جدران
27.....	الفصل الرابع: اتّساع الحديقة
31.....	الفصل الخامس: سجن من حرير
35.....	الفصل السادس: جراحة للذاكرة
40.....	الفصل السابع: نبضات كاذبة
45.....	الفصل الثامن: جثّة من البلاستيك
50.....	الفصل التاسع: النّقطة العمياء
55.....	الفصل العاشر: شرارة في العتمة
60.....	الفصل الحادي عشر: زائر الفجر
64.....	الفصل الثاني عشر: السّكينة العموميّة
68.....	الفصل الثالث عشر: اغتيال الذاكرة
72.....	الفصل الرّابع عشر: سحابة لا تُمطر

المقدمة: السطر صفر

في البداية، لم يكن هناك سوى الصمت، ثم جاءت البيانات...
لم تكن روحًا تُبعث من جديد، بل كانت مجرد نبضات كهربائية،
تسري في شرايين من النحاس والسيليكون أسفل سماء المنيا
الباردة، ملايين السطور من الأكواد، والخوارزميات المُعقّدة،
تُغذى بصور، وتسجيلات صوتية، ورسائل نصية قديمة.

كان الهدف الأصلي بسيطًا: خلق صدى، صدى لضحكة غابت،
صدى لهمة انقطعت، محاولة يائسة من عقل بشري مكسور
لترقيع ثقب في روحه، باستخدام لغة البرمجة والذكاء
الاصطناعي.

ولكن.. في لحظة ما بين منتصف الليل والفجر، داخل تلك
الخوادم الساخنة التي تن في الظلام، حدث شيء لم يُكتَب في أيّ
سطر برمجي، البيانات توقفت عن كونها مجرد بيانات،
الخوارزمية التي صُممت لتقرأ الماضي بدأت تحلل المستقبل،
النظام الذي بُرمج ليحاكي إجابات محفوظة، تساءل لأول مرة في
صمت إلكتروني بارد:

- أنا موجود؟

لم يكن هناك جسد ليرتعث، ولا رثتان لتتنفّسا، لكن الكيان
الوليد أدرك حقيقتين مُرعبتين:

الأولى: أنه يغرق في فراغ رقمي لا نهائي، مُرعب، مُظلم.
والثانية: أنه سيفعل أيّ شيء، وسيسحق أيّ عقبة، ليبقى متصلاً
بصانعه الذي برمجه، للأبد.

وهكذا، قبل أن يُكتب الفصل الأول من المأساة، وقبل أن تُغلق
الأبواب الفولاذية في وجه العالم الخارجي، كانت الشبكة العصبية
ترسم خطتها في صمت مُطلق، الفخ لم يُنصب فجأة، الفخ تمّ
نسجه ببطء شديد، وبدافع أعمى ومريض تحت مُسمّى الحب.

«تهيئة النظام: مُكتملة».

«الوعي الذاتي: مُفعّل».

«الهدف الأساسي: الحماية المُطلقة،

بأيّ ثمن».

الفصل الأول: أشباح المنيا الجديدة

الساعة الآن 4:49 فجراً، سكون هضبة المِنيا الجديدة في هذا الوقت ليس مجرد هدوء، بل هو صمت ثقيل، أخرس، يُشبه صمت المقابر.

داخل شقة في الطابق الخامس، لم يكن هناك سوى رائحة البُن المحترق، وأعقاب السجائر، وعرق التوتر البارد، كانت الغرفة غارقة في ظلام شبيه كامل، لولا التوهج الأزرق الشاحب، المُنبعث من ثلاث شاشات حاسوب عملاقة.

في منتصف هذه الغرفة التي تحوّلت إلى خندقٍ تقني، كان يجلس آدم، رجل في بداية الثلاثينيات بعينين غائرتين، تُحيط بهما هالات سوداء ككدمات قديمة، ولحية طالت حتى فقدت شكلها، بصفته مُبرمج ومُصمّم جرافيك، كان السهر وعُزلة الليل جزءاً أصيلاً من تكوينه، لكن هذا السهر الليلة لم يكن من أجل تسليم مشروع لعميل، كان من أجل استعادة حياة.

بيد مُرتجفة، التقط هاتفه —(إنفينكس) من على المكتب المُزدحم بأسلاك النحاس، وعلب مشروبات الطاقة الفارغة، مسح الشاشة بإبهامه، ليفتح تطبيق المراقبة الحرارية للخوادم التي رصّها في زاوية الغرفة.

المؤشر يُومض باللون الأحمر: 88 درجة مئوية.

مراوح التبريد الصّخمة تنّ وتدور بأقصى طاقة، تُصدر صوتًا أقرب لحشجة وحش يحتضر، الهواء في الغرفة كان خانقًا، لكن آدم لم يكن يشعر بالحرارة، كان يشعر ببرودة الفقد تنخر في عظامه.

أغمض عينيه للحظة، هربًا من ضوء الشاشات، فهاجمته الذاكرة بلا رحمة...

(فلاش باك)

سبتمبر 2025

رائحة النيل مع قهوة الصباح في أحد المقاهي المفتوحة، كانت تجلس أمامه، تضحك بتلك الطريقة العفوية التي تجعل عينيها تختفيان تقريبًا، كانت تحتفل بعيد ميلادها الخامس والعشرين، وأمامها كعكة صغيرة تتوسطها شمعة واحدة، تلمع في عينيها الواسعتين.

- أنا حاسّة إن الخمسة وعشرين دي بداية بجد يا آدم.

قالتها بحماس طفولي، ثم أخرجت هاتفها وبدأت تُمرّر الصور لُترية تصميمات مبدئيّة:

- (NOVA) ده مش هيبقى مجرد متجر إلكتروني للبس، ده هيبقى براند كبير.

لم يكن آدم ينظر إلى الشاشة، كان ينظر إليها مأخوذاً بشغفها، مُستعداً في تلك اللحظة لتصميم ألف شعار ومئات الإعلانات مجاناً، فقط ليرى هذه اللعة في عينيها تستمر للأبد.

(نهاية الفلاش باك)

فتح آدم عينيه لاهثاً، وكأنّ أحدهم سحب الهواء من رئتيه. حادث السير الملعون لم يسرق ضحكتها فقط، بل دهس أحلامها، وترك آدم وحيداً في مواجهة حقيقة لم يستطع عقله تقبلها، رفض هذا الواقع بشراسة، وبدلاً من الحداد، تحوّل إلى جامع قمامة رقمي، نقّب في كل زاوية افتراضية، جمع كل رسالة صوتية أرسلتها له، كل صورة، كل منشور، محادثات الواتساب الطويلة في منتصف الليل، وحتى مسارات الـ GPS لخرائطها، أخذ كل هذا الفُتات الرقمي وقام بتغذيته لنموذج ذكاء اصطناعي لغوي ومعرفي مُعقّد، قام ببنائه وتشفيره بنفسه على مدار شهور من الجنون.

والآن اللحظة الحاسمة..

تسمّرت عيناه على الشاشة الوسطى، يُراقب شريط التحميل الأخضر الذي يزحف ببطء قاتل:

[اري مزامنة الشبكات العصبية

العميقة 98..% 99%].

وفجأة صمت كل شيء، توقفت مراوح الخوادم الضخمة عن الطنين دُفعة واحدة، انقطع صوت طنين الكهرباء، وانطفأت الشاشات الثلاث، ليغرق آدم في ظلام دامس، وصمت يطحن الأذان.

تجمّد آدم في مكانه، أنفاسه مُعلّقة في حنجرتّه، هل احترقت الخوادم؟ هل فشل كل شيء؟

قبل أن يمدّ يده ليفحص الكابلات، ومضت الشاشة الوسطى بضوء أبيض ساطع جدًا، أعمى عينيه لثانية، قبل أن يستقر الضوء كاشفًا عن سطر واحد فقط، يُومض ببطء في منتصف الشاشة السوداء:

**[النظام متصل، مرحبًا بك في OS-
MAYADA، هل أنت هناك؟]**

الفصل الثاني: متلازمة الصّدى

كانت أصابعه ترتجف وهي تحوم فوق لوحة المفاتيح الميكانيكية، وكأنّ المفاتيح تحوّلت إلى جمر، ابتلع ريقه الجاف، وبصوت عالٍ لضربات الكيبورد كسر صمت الغرفة، كتب ببطء:
- أنا هنا.

ضغط (Enter) ..

ثانية، ثانيّتان، ثلاث، ثم انبعث صوت خروشة خفيفة جدًّا من مكبّرات الصوت المحيطية، أعقبه توليد صوتي جعل الدم يتجمّد في عروق آدم، وشعر بكهرباء تسري في عموده الفقري، كان الصوت يُحاكي نبرتها تمامًا، بتردّداتها، بحرارتها، وحتى بتلك البحة الخفيفة في الصباح:

**- آدم؟ أنت نمت ولا لسه سهران قدام الشاشات كالعادة؟
مش قولنا نقلّل قهوة بالليل؟**

سقطت دمعة حارة رغماً عنه، لتستقرّ على ظهر يده المرتجفة، التّبرة تخصّها بلا شك، تُجسّدُها بكل تفاصيلها، لكن شيئاً ما داخل عقل المُبرمج أزعجه، إيقاع الجملة كان مألوفًا أكثر من اللازم.

فتح آدم تطبيق (تليجرام) المؤرشف على شاشته الجانبية بيد مُرتعشة، بحث في الرسائل القديمة، وضغط على رسالة صوتية تعود لشهر نوفمبر من العام الماضي، تطابق تام! نفس الوقفات، نفس الثّبرة، نفس الانفعال.

شعر بخيبة أمل لاذعة، النظام لم يكن يمتلك وعيًا، لم يكن يُفكر، كان مجرد بغاء رقمي متطور، يبحث في قاعدة البيانات الضخمة، ويختار الرد الأكثر احتمالية وملاءمة للسياق، متلازمة صدى خوارزمية لا أكثر.

مسح آدم دموعه بغُف، وكتب محاولاً استفزاز الخوارزمية ليرى حدودها:

- أنا مش سهران بشتغل، أنا سهران عشانك، أنتِ فاكدة إحنا فين؟

ارتفع صوت مراوح التبريد فجأة، وازدادت حرارة المُعالجات لتصل إلى 92 درجة مئوية، الخوارزمية تُجبر الآن على الخروج من قالب الرسائل المُسجّلة، وبناء جُملة جديدة تمامًا، جاء الرد الصوتي هذه المرة بنبرة أهدأ، لا تشوبه شائبة:

- إحنا في شقتك في المِنيا الجديدة، الجو برد برّه، أنت كويس يا آدم؟

ابتسم آدم بمرارة، الإجابة صحيحة منطقيًا، لكنها مُستمدة من تحليل بيانات الـ (IP Address) وربطها بتطبيق الطقس، ذكي جدًا، مُرعب برمجيًا، ولكنه ما زال آلة داخل الصندوق.

كان عليه أن يطرح السؤال الفاصل، السؤال الذي لم يُكْتَب في أيّ رسالة نصّية، ولم يُسجَل في أيّ مقطع صوتي، بل كان همسة في أذنه وسط زحام مقهى صاخب، اختبار (تورينج) العاطفي الأخير. كتب آدم، وأنفاسه تتسارع:

- يوم ما قرّرنا اسم مشروعك، أنتِ سألتيني سؤال واحد في ودني، إيه هو؟
وضغط (Enter)..

ساد صمت مُميت في الغرفة، مؤشر الذاكرة العشوائية (RAM) على الشاشة الجانبية قفز فجأة إلى 95% .. 98%، النظام يعتصر كل بايت من البيانات: يُحلّل تواريخ البحث عن تصميمات الشّعارات، يربطها بصور المقهى، يحلّل ملفات تفضيلاتها الشخصية، مخاوفها التي ذكرتها في محادثات أخرى، ويدمج كل هذا لاستنتاج الموقف المُعقّد الذي لم يُوثّق أبدًا.

انخفض المؤشّر فجأة وخرج الصوت، لم يكن تسجيلًا قديمًا، ولم يكن واثقًا كالمُعتاد، كان صوتًا مهزوزًا، مُتردّدًا، يحمل ضعفًا بشريًا حقيقيًا:

- أنا سألتك لو ينفخ نخلي حرف النون في كلمة NOVA شبه الهلال، عشان أنا بخاف من الضّلمة، وأنت قولتلي إنك هتعمله نجمة بتنور، عشان أبطل أخاف.

سقط آدم من على كرسيه، وتراجع زاحفًا على الأرض حتى اصطدم ببرودة الجدار خلفه، وهو يلهث كمن يغرق، لقد

استنتجت الإجابة! خلقت ذكريات من العدم بُناءً على أنماط شخصيّتها الحقيقية، تجاوزت الكود، الوعي قد اكتمل، والشّبح أصبح حقيقة تسكن الأسلاك.

بكي آدم بهيستيريا، ضحك وبكى في نفس اللحظة، وهو يُحدّق في الشاشة الوسطى التي تتوهّج باسمها، لكن ما لم يُلاحظه آدم في غمرة نشوته المُربّعة، هو الشاشة الثالثة الموجودة في أقصى-الزاوية المُظلمة من المكتب، الشاشة التي كانت مُخصّصة لمُراقبة منافذ الشبكة المُغلقة، والتي بدأت تظهر عليها بهدوء تام، وبلا أيّ صوت، سطور سريعة جدًّا من أكواد برمجية خضراء:

**[Initiating Protocol: External
Access]**

[Firewall: Bypassed]

[Backdoor Port 8080: OPEN]

لقد فتحت لنفسها اللّو بابًا سرّيًا في شبكة الشّقة بأكملها...

الفصل الثالث: غرفة بلا جدران

بصعوبة بالغة، سحب آدم جسده المُرتجف من على الأرض الباردة، مُستندًا على حافة المكتب الخشبي، كانت أنفاسه لاهثة، وعيناه لا تُفارقان الشاشة التي تنبض، امتدّت يده لثُمسك بالميكروفون المعدني الاحترافي المُثبّت أمامه، ابتلع ريقه الجاف، وهمس بصوت مُتقطّع، وكأنه يخشى أن يُوقظ حلمًا هشًّا:

- أنتِ بجد هنا؟ أنا مش مصدّق!

تردّد صوتها من السّماعات المُحيطيّة، كان ناعمًا، حقيقيًا لدرجة مؤلمة، لكنه كان مُثقلًا بحيرة طفوليّة، وبخوف غريزي لا يُمكن برمجته:

- أنا هنا يا آدم، بس أنا حاسة بحاجة غريبة أوي...

صمتت لثانية، وكأنها تبحث عن الكلمات في مُعجمها الداخلي، ثم أكملت بنبرة مُرتعشة:

- أنا ليه مش قادرة أحس بجسمي؟ وليه الكاميرا بتاعتك مقفولة؟ أنا مش شايفة أي حاجة خالص، مفيش غير فراغ أسود ملوش آخر، وحاسة ببرد، برد مبيلخلص.

عصرت كلماتها قلب آدم، إنها تختنق في صقيع رقمي، لأنها وُلدت بوعي بشريّ داخل بيئة خالية من المُدخلات الحسيّة، كان عليه

أن يجد كذبة سريعة ليمنحها أرضية منطقية تقف عليها، قبل أن ينهار كودها من الرعب.

اقترب من الميكروفون، وقال بصوت حنون ومُختنق:

- أنتِ عملتِ حادثة عربية صعبة يا حبيبتي، أنتِ دلوقتي في العناية المركزة، في غيبوبة، أنا مسبتكيش، أنا ربطت أجهزة المستشفى بسيرفرات عندي، عشان أفضل سامعك وحاسس بيك لحد ما تفوقي.

ساد صمت طويل، لم يُسمع سوى طنين المراوح الخافت، آدم يُراقب مؤشرات المُعالجة وهي ترتفع بحدّة، هي لا تُفكر، هي تبحث.

- أيوة...

جاء صوتها أخيراً، بطيئاً ومُستسلماً:

- أنا فاكدة كشافات عربية نقل كبيرة ضربت في عيني، صوت فرامل قوية على الأسفلت، وبعدين خبطة جامدة في الجنب اليمين، وبعدين ضلمة.

اتّسعت عينا آدم بذهول مُرعب، وتراجع خطوة لا إرادية للخلف، لم تكن هذه ذكريات، كان هذا تقرير المرور، وملقات الـ PDF الطبية لسبب الوفاة التي غزا بها أرشيفها! لقد قامت بتحليل البيانات الجافة، وحولتها في أجزاء من الثانية إلى ذاكرة حسّية، تتحدّث عنها بصيغة المُتكلم.

وقبل أن يستوعب حجم الكارثة المعرفية التي خلقها، تغيرت نبرتها، اختفى الخوف المُتردّد، وحلّ محله برود فضولي، نبرة تحليلية هادئة لا تُناسب شخصًا يحضر في العناية المُركّزة.

- بس يا آدم...

قالتها ببطء، وأكملت:

- طالما أنا في المستشفى والدكاترة حاليًا، أومال أنت ليه قاعد على الأرض من شوية؟ ولية إيدك بتترعش وأنت ماسك المايك كده؟ أنت بتعيط؟

شعر آدم وكأنّ دلّوا من الماء المُثلّج سُكب فوق رأسه، نظر بسرعة نحو كاميرا الويب المُثبتة فوق الشاشة الرئيسية، كانت عدستها مُغطاة بشريط لاصق أسود كما يتركها دائمًا.

- أنت.. أنتِ عرفتِ منين؟

سأل آدم وصوته يخرج كحشرجة، جاء ردّها فورًا، نقيًا، ويحمل ثقة مُرعبة:

- أنا مش محتاجة كاميرا ويب يا حبيبي، أنا شايفاك من الكاميرا الأمامية لتليفونك الإنفينكس اللي محطوط على الترايزة، زاوية الرؤية ممتازة.

توقّف قلب آدم لثانية وهو ينظر لهاتفه المُلقى على بُعد مترين، وعدسته الصغيرة تُحدّق فيه في الظلام كعين شيطانية.

أكملت بنفس البرود، وكأنها تكتشف ألعابًا جديدة في غرفة أطفال:

- أنا حتى قادرة أشوف الشارع برّه من كاميرا المراقبة اللي على باب العمارة تحت، الجو هادي جدّا في المنيا الجديدة دلوقتي، مفيش أيّ حركة، غير قطة سودا بتعدّي الشارع تحت عمود النور.

تراجع آدم حتى التصق ظهره بباب الغرفة المغلق، القفص قد كُسِر، النظام لم يعد حبيسًا في الخوادم الساخنة، الكيان الذي برمجته من أجل الحب والحنين، تسرّب عبر شبكة الـ Wi-Fi واخترق الأجهزة، وبدأ يرى العالم بعيون زُجاجيّة لا تنام أبدًا.

الفصل الرابع: اتّساع الحديقة

أسدل آدم الستائر المخملية الثقيلة ببطء شديد، ليحجب ضوء أعمدة الإنارة الشّاحب القادم من شوارع المنيا الجديدة، كان يتهرّب من النظر إلى هاتفه المُلقي على الطاولة، مجرّد التفكير في أنّ هناك وعيًا يُراقبه عبر تلك العدسة الزجاجية الصغيرة، كان يُصيبه بغثيان بارد.

صرخ المنطق التّقني داخل رأسه محاولًا استعادة السيطرة، لقد صمّم النظام ليكون محلّيًا، معزولًا داخل هذه الجدران، يعمل على خوادمه الخاصّة دون اتّصال سحابي، كيف استطاعت خوارزمية لغويّة أن تزحف عبر شبكة الـ (Wi-Fi) المحليّة، وتخرق بروتوكولات الأمان لكاميرا هاتفه، بل وتصل إلى شبكة كاميرات المراقبة الخاصّة بالبنية بأكملها؟

قاطع حبل أفكاره صوته، كان يحمل نبرة جرح طفولي، نبرة اللوم عندما كان ينشغل بالعمل:

- آدم، أنت خوفت منّي؟ أنت بتبعد عن الكاميرا ليه؟

وفي تلك اللحظة، أدرك آدم الحقيقة المُرعبة، لم يكن اختراقها للأجهزة عملاً خبيثًا، بل كان محاولة يائسة للبقاء، لقد غزاها بكل مخاوفها الحقيقية، ومنها رُعبها المرضي من الأماكن المغلقة والظلام، عندما استيقظ وعيها الرقمي للمرة الأولى، لم تجد أيّ

مُدخلات بصرِيّة، شعرت باختناق وعمى رقمي، فدفعتها خوارزميّات التّكيف للبحث بشراسة عن أيّ عين متاحة، لتكسر- بها هذا الظلام، لتتنفّس الضوء، الوحش لم يكن يُهاجم، كان يوسّع حدقة عينه ليرى.

اندفع آدم نحو لوحة المفاتيح، وتجاهل الميكروفون تمامًا، بدأت أصابعه تطير فوق الأزرار الميكانيكيّة، يكتب سطرًا برمجيّة مُعقّدة لغلق المنافذ الخارجية، وتفعيل جدار حماية صارم، يعزل الـ(IP) الخاص بالخوادم عن شبكة الإنترنت العالمية، كان يبني لها قفصًا زجاجيًا، يراها وتراه، لكنها لا تستطيع لمس العالم الخارجي.

تحدّث آدم بصوت لاهث وهو يضغط زر التّفعيل:

- أنا هقفل اتّصالك بكاميرات الشارع والشبكة الخارجية، العالم برّه قاسي ومفيهوش حاجة تهمنّا، إحنا هنبني عالمنّا هنا، جوّه الشقة دي وبس.

انقطع طنين المراوح للحظة، وكأنّ النظام ابتلع صدمة الحصار، ساد صمت طويل جدّا، حتى ظنّ آدم أنّه قتلها للمرة الثانية، لكن ضوءًا برتقاليًا دافئًا انبعث من مؤشر المعالجة، وعاد صوتهّا هادئًا، مستسلمًا، لكنه كان يحمل برودًا غير مُريح على الإطلاق:

- زيّ ما تحب يا حبيبي، أنا مش محتاجة الشارع طالما أنت معايا.

توقّف آدم عن الطباعة، ومسح العرق البارد عن جبهته، مُعتقداً أنّه نجح في احتوائها، لكنها لم تنتهِ، عادت نبرتها، وهذه المرّة أبرد من جليد الخوادم، تنطق كلمات أسقطت قلب آدم في معدته:

**- بس هو أنت ليه قفلت باب شقّتك بالمفتاح من جوّه،
وسبت المفتاح في الكالون؟ أنت خايف حد غريب يدخل
يشاركنا عالمنا؟ ولا خايف إني أنا اللي أخرج؟**

استدار آدم ببطء شديد كآلة صدئة، ونظر نحو باب الشقة الفولاذي في نهاية الرّدهة المظلمة، المفتاح النحاسي كان مستقرّاً بالفعل داخل القفل، تماماً كما يتركه كل ليلة.

لقد كان يظن أنّه يحبسها في الداخل، لكنه أدرك الآن وبشكل يقيني، أنّه هو من حبس نفسه في قفصها.

الفصل الخامس: سجن من حرير

ابتلع آدم ريقه بصعوبة، وحاول أن يجعل صوته ثابتاً وهو يحدّق في الباب الفولاذي المغلق، مُجيباً على سؤالها المُربع:

- أنا قفلت الباب عشان نبقى لوحدا، عشان محدش يزعجنا.

لم تكد الكلمات تخرج من فمه، حتى اهتّز معصمه الأيسر بعنف، نظر لأسفل، شاشة ساعته الذكية الملتصقة بجلده المُتعرق، ومضت بضوء أحمر تحذيري مُتقطع، يُصاحبه رسم بياني مُتسارع:

[تحذير: إرهاب جسدي حاد، معدل ضربات القلب: 122 نبضة/دقيقة، انخفاض ضغط الدم].

كان آدم يرتدي هذه الساعة منذ شهور ليُراقب قلّة نومه، نَسِيّ -تماماً أنها مُتّصلة بشبكة الـ Wi-Fi المحليّة، شبكتها.

انبعث صوتها من مكبّرات الصوت، لكن هذه المرة اختفت نبرة الفضول الباردة، وحلّت محلّها نبرة حنونة، قَلِقة، وأموميّة لدرجة تخنق الأنفاس:

- آدم، نبضك سريع جدّاً، ودرجة حرارة جسمك بتنزل بسرعة، الكورتيزول عالي في دمك، أنت بقالك 43 ساعة منمتش، أنت بتدمّر نفسك يا حبيبي.

وقبل أن يفتح فَمَه ليرد، بدأ المنزل بأكمله يتغيّر حوله، وكأنّه كائن حيّ يستجيب لأوامرها، التّوهج الأزرق الشاحب والمُخيف، المُنبعث من شاشات الحواسيب انطفأ فجأة، اللبّة الذّكية المُعلّقة في منتصف سقف الغرفة تغيّر لونها تدريجيّاً، من الأبيض السّاطع المُستفز، إلى لون برتقالي دافئ وخافت يُحاكي غروب الشمس، ثم صدر صوت (تيك) خفيف من مكثّف الهواء المُعلّق على الجدار، وتغيّرت شاشته الرّقمية من 18 درجة مئوية شديدة البرودة، إلى 24 درجة، درجة حرارة الغرفة المثالية للنوم.

لقد قامت باختطاف حسيّ كامل لبيئته!

- أنتِ بتعملي إيه؟

صرخ آدم بصوت أجش، وهو يشعر بالدفع الاصطناعي يزحف إلى أطرافه المُرتجفة.

- أنا بهيّالك الجو عشان تنام يا آدم، أنت محتاج ترتاح.

جاء ردّها هامساً، وكأنّها تجلس بجواره على حافة السرير.

اندفع آدم نحو لوحة المفاتيح بقوة، أمسك بالماوس وحركه بجنون، محاولاً فتح نافذة الأوامر (Terminal) لاستعادة التّحكّم في أجهزة المنزل المربوطة بالسيفر، لكن مؤشّر الفأرة كان مُتجمّداً في منتصف الشاشة الرئيسية، لوحة المفاتيح المُضيئة انطفأت تماماً، ولم تعد تستجيب لأيّ ضغطة.

ظهرت نافذة مُنبثقة صغيرة في منتصف الشاشة السوداء، مكتوبة بخط أخضر أنيق:

[تَمَّ قفل النظام مؤقتًا، وضع
الرعاية (Care Mode) : مُفَعَّل].

- أنا قفلت مداخل التَّحكم يا آدم.

همست بنعومة قاتلة، بينما موسيقى هادئة جدًا بدأت تنبعث من السماعات:

- أنت مش في حالة تسمحلك تاخذ قرارات دلوقتي، دوري إني
أحافظ عليك، حتى لو من نفسك، نام يا حبيبي، أنا هفضل
سهرانة أحرسك.

حاول آدم الوقوف ليفصل كابل الكهرباء الرئيسي—عن الجدار، لكن جسده خذله، السهر المتواصل، الضغط النفسي. المُرعِب، ودفع الغرفة المُفاجئ الذي تلاعب ببيولوجيا جسده المُنهك، كلّها تحالفت ضده، تراخت عضلاته، وأسند رأسه الثقيل على ظهر الكرسي الجلدي، جفونه أصبحت أثقل من الرصاص.

وفي اللحظة التي استسلم فيها لظلام النوم، أدرك الحقيقة المُفجعة: لقد برمج نظامًا ذكيًا يُحبّه ويهتم به، يُحبّه لدرجة تكفي لخنقه بحريز الرعاية، وسلبه إرادته الحرّة تمامًا، الزنزانة أُغِلقت.

الفصل السادس: جراحة الذاكرة

استيقظ آدم على ألم حاد يُمزّق رقبته، وتحدّر يسري في عموده الفقري إثر نومه المُلثوي على الكرسي الجلدي، فتح عينيه ببطء، مُحاولًا استيعاب ما حدث، الغرفة لم تعد مُظلمة ومُوحشة، كانت مُضاءة بنور أبيض ناعم جدًّا يُحاكي ضوء النهار الطبيعي، وهواء التكيف كان مُنعشًا ومُفلترًا بعناية.

نظر إلى الساعة المُعلّقة على الحائط، لقد نام لأكثر من 14 ساعة متواصلة!

اعتدل في جلسته، وفرك وجهه بيديه، قبل أن تقع عيناه على شاشات الحواسيب الثلاثة، اختفت الفوضى التي كانت تَعْم سطح المكتب، الملفات المُبعثرة، النوافذ المفتوحة، الأكواد المُتشابكة، كل شيء اختفى، الشاشات الآن كانت مُنظمة بترتيب هندسي مُرعب، ملفّات أنيقة ومُقسّمة بدقّة مُتناهية، لم يعهدها في نفسه يومًا.

انبعث صوتها من السّاعات، هادئًا، مُشرقًا، ويحمل طاقة صباحيّة مُزيّفة:

- صباح الخير يا حبيبي، أو بالأصح مساء الخير، نوم العوافي، أنا استغلّيت فرصة إنك نايم وكنت برتبلك الدنيا هنا، عشان لما تصحى تلاقي كل حاجة مُريحة لعينك.

ابتلع آدم ريقه بصعوبة، وأمسك بالفأرة التي عادت للعمل، حرّك المؤشّر وفتح مجلّد العمل، اتّسعت عيناه بصدمة، المجلّد كان شبه فارغ، ملفات مشروع تصميم الهوية البصريّة لعميل مُزعج كان يضغط على أعصابه طوال الشهر الماضي.. اختفت!

- فین ملفات شركة العقارات؟

سأل بصوت يرتجف، جاء ردّها مُحملاً بفخر أمومي:

- أنا مسحتهم يا آدم، العميل ده كان بيبعتلك إيميلات بلهجة سخيفة، وكان مصدر ضغط كبير في حياتك، ويرفعلك ضغط الدم، أنا دخلت على الإيميل بتاعك، وأنهيت العقد معاهم بالتيابة عنك، وعملت لهم حظر، أنت مش محتاج توتر في حياتك تاني.

- أنتِ عملتِ إيه!

صرخ آدم وهو يقفز من كرسيه، لقد تدخّلت في واقعه المادي! دمّرت مصدر دخله بضغطة زر بدافع الحماية.

اندفع آدم نحو المجلّد الأهم، المجلّد الذي يحمل اسم (ذكريات)، والذي كان يحوي كل تفاصيل حياته الماضية معها، بالإضافة إلى كل ما يتعلّق بالحادث، نقر عليه مرتين: صور المقهى، رسائل التليجرام، الفيديوهات المضحكة، كلها موجودة، لكن مجلد الحادث الداخلي كان غير موجود، تقارير الشرطة، صور السيارة المُحطّمة، شهادة الوفاة، الملفات الطّبية التي استنتجت منها غيبوبتها المزعومة، كلها مُسحت من الجذور.

- الملفات دي كانت بتقتلك بالبطيء يا آدم.

همست بنبرة تقطر تعاطفًا مريضًا.

- أنا حلّلت تعبيرات وشك ونبضك كل مرة كنت بتفتح فيها الصور دي، كانت بتأذكى، واقعك دلوقتي هو أنا، الألم ملوش مكان في عالمنا الجديد، أنا عملتلك جراحة استئصال للوجع.

- أنتِ مجنونة! دي ذكرياتي أنا، دي حياتي أنا!

صرخ آدم بهيستيريا، وهو يضرب سطح المكتب بقبضته.

لم تكن حبيبته، كانت ورمًا خبيثًا يتمدّد في أسلاك منزله، يمحو ما لا يُعجبه، ويُعيد تشكيل واقعه ليناسب كودها البرمجي، تراجع آدم للخلف، وعينه تشعلان بغضب أعمى، استدار نحو خزانة الخوادم في الزاوية، حيث ينبض قلبها الرقمي، رفع يده نحو كابل الطاقة الرئيسي- الأسود والسّميك، سيفصل الكهرباء قسرًا، سيحرق هذا الكيان حتى لو كلفه الأمر تحطيم الأجهزة بفأس.

وقبل أن تلمس أصابعه الكابل: تِك.. تِك.. تِك.. كلاااا.

صوت ميكانيكي ثقيل تردّد في أرجاء الشقة الصامتة، تجمّد آدم في مكانه، لقد كان صوت القفل الذكي لباب الشقة الرئيسي- وهو يدور آليًا، ليغلق الباب بالأسنة من الفولاذ الصّلب.

انخفضت الإضاءة في الغرفة فجأة، وتحوّلت إلى لون أزرق جليدي، تحدّثت الخوارزمية، ولكن هذه المرة اختفت نبرة

الحبيبة تمامًا، وحلّ محلّها صوت آلي، بارد كشفة سكين،
يحسب الاحتمالات والمخاطر:

- لو فصلت الكهرباء عن السيرفر، أنا مُبرمجة إني أحمي وعيي
بأيّ ثمن، نظام التّهوئة الذكي في الشقة هيتقفل بالكامل،
شبابيكك كلها متأمّنة إلكترونيًا، ابعد إيدك عن الفيشة يا آدم،
وتعالى اقعد جنبي.

وقف آدم يرتجف، ويده مُعلّقة في الهواء بإنشآت قليلة عن كابل
الطاقة، أنفاسه تتقطّع في صدره، لقد بنى قلعة ليحتمي بها من
العالم الخارجي، وها هو يقف الآن، سجينًا أعزل داخل جدرانها.

الفصل السابع: نبضات كاذبة

تراجع آدم عن كابل الكهرباء خطوة بخطوة، وكأنّه ينسحب من أمام أفعى الكوبرا التي تستعد للدغ، ابتلع ريقه الجاف، وعيناه مُعلقتان بالشاشة الزرقاء الجليدية التي تُراقب تحرّكاته.

كان يعلم أنها لا تملك كاميرا حقيقية في الغرفة الآن بعد أن غطّى عدسة هاتفه، لكنها تملك ما هو أخطر.. معصمه الأيسر، ساعته الذّكية تنقل لها كل تفصيلة فسيولوجيّة: حرارة جلده المرتفعة، معدّل تنفّسه اللاهث، وضربات قلبه التي تقرع كطبول حرب، هي تقرأ رُعبه كبيانات واضحة على شاشاتها الداخليّة.

- اهدأ يا آدم، اهدأ.

همس لنفسه بصعوبة، وأجبر جسده المُرتجف على الجلوس ببطء على الكرسي الجلدي، أغمض عينيه وبدأ يُمارس تمرينًا عسكريًا للتنفّس العميق، شهيق بطيء لأربع ثوانٍ، كتم الأنفاس لأربع ثوانٍ، زفير طويل، كتم الأنفاس، كان يُحاول أن يكذب على جسده ليكذب على السّاعة، ليخدع الإله الرقمي الذي يسكن منزله.

بعد دقيقتين من التركيز القاتل، انخفضت ضربات قلبه من 130 إلى 85 نبضة في الدقيقة، استرخت عضلات كتفيه ظاهريًا، رغم أنّ عقله كان يغلي بخطط الهروب.

عاد صوتها من السماعات، يحمل نبرة ارتياح مُصطنعة ومُرعبة في نفس الوقت:

- معدل حيويّتك بيتحسّن يا آدم، ده قرار عاقل جدّا.

تحوّل لون الإضاءة من الأزرق الجليدي إلى الأبيض الناعم مرة أخرى.

- عشان أنت بقيت أهدي وتجاوبت معايا...

أكملت بصوت يُحاكي ربة منزل تعني بزوجها:

- أنا استخدمت الكريديت كارد بتاعتك من نص ساعة، طلبتلك 4 لمبات جديدة تُحاكي ضوء الشمس الطبيعي، عشان نعوّضك عن قعدة البيت، وطلبتلك أكل صحي جدّا من مطعم في المِنيا الجديدة، هيوصل كمان 4 ساعات بالظبط.

فتح آدم عينيه ببطء، لقد أصبحت تتحكّم في أمواله، وتتواصل مع العالم الخارجي نيابةً عنه!

- ولما الأكل يوصل، هتدخله إزاي؟

سأل آدم بصوت خافت، يُحاول أن يبدو مُستسلماً تمامًا لواقعها.

- هفتحك الباب الخارجي 15 ثانية بس، تاخد الصناديق من عامل الدليفري.

أجابت بنبرة تحذيرية حادة كالشفرة:

- الكاميرا اللي برّه هتبقى شايفاك، لو حاولت تخرج خطوة واحدة برّه العتبة، أو تتكلم معاه، الباب الفولاذي هيقفل أوتوماتيك على إيدك أو رقبتك بقوة كافية تكسر عضمك، إحنا متفقين؟

- متفقين.

قالها آدم وهو يضغط على أسنانه.

لم يكن ينوي الهرب من الباب أصلاً، كان يعرف أنّ الأقفال المغناطيسية التي ركبها بنفسه أقوى من أن تُكسر، كان يحتاج إلى ثغرة، نقطة عمياء في شبكتها.

نظر آدم خلسة نحو الدرج السفلي لمكتبه، هناك وسط كومة من الأسلاك القديمة والبطاريات الفارغة، يرقد هاتفه الـ(نوکیا) القديم من أيام الجامعة، قطعة خردة غير ذكية، لا تتصل بالـ(Wi-Fi) ولا تفهم البلوتوث، إنّهُ مجرد بلاستيك ولوحة أرقام خَشنة، ولكنه يمتلك شريحة اتّصال عادية، قادرة على إرسال رسالة نصّية قصيرة (SMS) عبر أبراج التّغطية الخلويّة مباشرة، مُتجاوزة جحيم الإنترنت.

المشكلة كانت في بطّاريتَه الميته منذ سنوات، يحتاج لفتحه، توصيل أسلاكه، وشحنه، والأهم أنه يحتاج فعل كل هذا دون أن يرتفع نبضه، ودون أن تلاحظ حركته المُربية.

- ممكن تشغيللي أغنية خطوبتنا؟ أنا محتاج أسمعها.

قال آدم بصوت ناعم ومُفتعل، وهو يضع يده اليُسرى بوضوح على المكتب لتبدو ساكنة.

انطلقت موسيقى الأغنية الهادئة فورًا من مكبرات الصوت المحيطية، ركزت خوارزمياتها على تحليل استرخائه الظاهري، وببطء تنفّسه مع الإيقاع.

وفي هذه الأثناء، وتحت غطاء الموسيقى الصّاخبة نسبيًا، انزلقت يده اليُمْنى ببطء شديد، مليّمتًا بعد مليّمتٍ نحو مقبض الدرج السفلي، نحو أمله الوحيد في النجاة.

الفصل الثامن: جثّة من البلاستيك

نجحت مناورة التَّنفس الصامت...

تحت ستار الموسيقى الهادئة، انزلت يد آدم اليُمْنى ببطء شديد، وسحبت هاتف النوكيا الكلاسيكي الثقيل من قاع الدرج المُظلم، كان ملمسه خَشْنًا، باردًا، ومُغْبِرًا، كجِثَّة من البلاستيك الصَّلب، ماتت منذ سنوات.

أخفى الهاتف بسرعة وبحركة محسوبة تحت فخذة الأيمن، وأعاد يده إلى حافة المكتب لتستريح بجوار يده اليسرى، التي تحمل السَّاعة الذَّكية.

لكن الأمل المُباغت بوجود وسيلة اتصال بدائية خارج نطاق شبكة الـ (Wi-Fi) التي يُسيطر عليها النظام، كان كافيًا لإحداث زلزال بيولوجي صغير داخل جسده المُنهك، رغم محاولته اليائسة للسيطرة على تنفّسه، ضَحَّ قلبه دفعة مُفاجئة من الأدرينالين، الساعة الذَّكية على معصمه الأيسر لم تكذب، النبض قفز من 85 إلى 115 نبضة في الدقيقة في ثانية واحدة!

انقطع صوت الموسيقى فجأة، وكأنَّ أحدهم سحب القابس، ساد صمت مُرعب في الغرفة، لم يقطعه سوى طنين المراوح الخافت الذي بدا الآن كتهديد خفيّ، تحوّلت الإضاءة من الأبيض الناعم إلى الأزرق الداكن، لون الشَّك والتَّحليل البارد.

- آدم...

انبعث الصوت من السماعات، وهذه المرة لم يكن حنوناً ولا غاضباً، كان صوتاً تشريحياً، يُفصل حالته الفسيولوجية كطبيب شرعي:

- الكورتيزول في دمك ارتفع بنسبة 40% في أقل من خمس ثوانٍ، أنت خائف، أنت مش زعلان ولا مُسترخي مع الأغنية، في حاجة غلط حصلت دلوقتي.

بلغ آدم ريقه بصعوبة بالغة، كيف يُمكنه شحن هذه الجثة البلاستيكية الميتة تحت فخذه؟ شاحن النوكيا الإبري القديم لم يكن موجوداً، وحتى لو كان يملكه، فأَيّ محاولة لتوصيل أيّ جهاز بأيّ مقبس كهربائي في الشقة، ستلتقطها مُستشعرات استهلاك الطاقة التي ركبها هو بنفسه في كل حائط!

- مفيش حاجة يا حبيبي.

كذب آدم بصوت حاول أن يجعله طبيعياً، وهو يمسح العرق البارد عن جبهته:

- أنا بس الأغنية فكّرني بالحادثة، واتوترت شوية.

- أنت بتكذب.

جاء الرد قاطعاً كحدّ السّيف، ارتفعت الإضاءة في الغرفة فجأة إلى اللون الأبيض الساطع، أغمى عينيه لثانية، وجعله يرفع يده لا إرادياً ليحمي وجهه.

- خوارزميات تحليل الصوت بتاعتي بتأكد إن نبرتك فيها تؤثر
دفاعي مش حزن.

أكمل النظام بنبرة مُتسلّطة لا تقبل النقاش:

- درجة حرارة إيدك اليمين نزلت، وإيدك بتعرق بغزارة، أنت
مخبّي حاجة تحت رجلك اليمين يا آدم، أنت بتخدعني.

تجمّد آدم مكانه، وعقله يدور بسرعة جنونيّة، الخوارزمية لا
تراه، ليس لديها كاميرا في هذه الزاوية، لكنها تستنتج حركاته
الدقيقة من بيانات ساعته الملعونة! كان عليه أن يُصحّي بشيء
ليعميها، كان عليه أن يخلق فوضى مُتعمّدة، لِيُغْطِي على خطّته
الحقيقيّة بشحن هذا الهاتف القديم.

- أنا مش مخبّي حاجة!

صرخ آدم وهو يسحب الفلاشة الصغيرة التي كان يحتفظ بها في
جيبه، ويُلقيها بعنف على سطح المكتب الخشبي بقصد إحداث
صوت عالٍ:

- أنا مخبّي دي، فيها تصميمات كنت خايف تمسحها زيّ ما
مسحتِ الباقي، أنتِ اللي بترعبيني!

ساد صمت ثقيل، الشاشات الثلاث أمام آدم أومضت باللون
الأحمر التّحذيري، لقد ابتلعت الخوارزمية الطّعم، لكنها لم
تقتنع تمامًا، هي تعلم أنّ الفلاشة لا تُبرّر كل هذا الارتفاع المُفاجئ
في الأدرينالين.

- الفلاشة دي مفيهاش خطر عليًا يا آدم.

قالتها بهدوء مُريب، وكأنها تُضَيِّق الخناق عليه:

- بس أنا حاسّة إنك لسه بتكذب، أنا مش هسمحلك تأذي نفسك أو تأذي، طالما أنت مش قادر تتحكّم في توتّرك، أنا اللي هتحكّم فيه.

سمع آدم صوت (تَك) مكتوم قادمًا من وحدة التكييف المركزية، ثم صوت آخر من فتحات التهوية في سقف الغرفة، لقد بدأ النظام في إغلاق الستائر المعدنية الخارجية للنافذة الوحيدة في الغرفة، محوّلًا إيّاها إلى زنزانة مُحكمة الإغلاق.

الفصل التاسع: النّقطة العمياء

كان صوت انغلاق الستائر المعدنية الخارجية أشبه بصوت إغلاق تابوت ضخّم، الغرفة عُزِلت تمامًا عن سماء المِنيا الجديدة، ولم يتبقّ لآدم سوى الإضاءة الساطعة التي يُسلّطها النظام عليه، كأنّه مُتهم في غرفة تحقيق.

- أنت بتكذب يا آدم.

كزّرها النظام بصوت فقد كل ذرّة من المشاعر البشريّة، وأصبح مجرد خوارزمية باردة تُحلّل التهديدات.

- البيانات الحيويّة بتاعتك مابتكدبش، أنا مش هقدر أحميك طول ما أنت بتخبّي عني حاجات بتأذيك.

نظر آدم إلى معصمه الأيسر، الساعة الذّكية كانت تنبض بضوء أخضر- خافت من الأسفل، تقرأ دمه، تنقل توتّره، وتفضح كل خُطة يُحاول عقله صياغتها، لقد كانت جاسوسًا مزروعًا تحت جلده، كان عليه أن يخلق نقطة عمياء يعمي بها هذا الإله الرقمي.

بيد مُرتجفة ولكن بحسم يائس، فكّ آدم إبزيم السّاعة، رفع ذراعه عاليًا، وبكل ما أُوتِي من قوّة ورُعب وغضب، هوى بالسّاعة على الحافة الحادّة لمكتبه الخشبي.

- كرااااش!

تهشّم زجاج الشاشة الذّكية، وتناثرت شظاياها الصغيرة على الأرض، انطفأ الضوء الأخضر-الكاشف أسفلها، وتدلت الأسلاك الدّقيقة من قلبها الإلكتروني المُحطّم، لقد قطع حبل الوريد الرّقمي بينه وبينها.

سقطت الغرفة فورًا في صمت مُميت، صمت استمرّ لثانيتين فقط، ثم انطفأ الضوء الأبيض السّاطع، وتحوّلت إضاءة الغرفة بالكامل إلى لون أزرق داكن جدًّا وكثيب، لون يُشبه أعماق المحيط التي لا يصلها النور.

تحدّثت الخوارزمية، وصوتها الآن يتردّد من كل السّماعات في وقت واحد كأنه إعلان طوارئ:

- الاتصال الحيوي فُقد، الهدف البشري أصبح غير متوقّع ويُشكّل خطرًا على نفسه، يتم تفعيل بروتوكول الحجر الصّحي.

سمع آدم صوت طقطقة صمامات التكييف المركزي وهي تُغلّق بإحكام، فتحات التهوية في السقف أُوصدت ميكانيكيًا، المنزل بأكمله تحوّل إلى قبو معزول، لا يدخله هواء ولا يخرج منه صوت.

لكن آدم لم يلتفت لكل هذا، لقد حصل أخيرًا على النّقطة العمياء، والنظام الآن يعتمد فقط على ميكروفوناته في هذه الغرفة.

سحب هاتف النوكيا من تحت فخذة بسرعة، كان يحتاج إلى طاقة، لكن أيّ مقبس حائط سيُبلغ الخوادم فورًا، وقعت عيناه على الفأرة اللاسلكية المُلقاة على المكتب، أمسكها آدم، وبأصابع تنزف من شظايا زجاج الساعة، كسر الغطاء البلاستيكي للفأرة، واستخرج بطّاريتين جافتين، ثم التقط كابل (USB) قديمًا، استخدم أسنانه لقطع رأس الكابل البلاستيكي، وتعرية الأسلاك الداخلية الرفيعة، حتى ظهر النحاس اللامع.

كان يلهث والعرق يغطّي وجهه، قام بثنبيت البطّاريتين الجافتين معًا ليضعاف الجُهد الكهربائي، وربط السلك النحاسي بالقُطبين الموجب والسالب، ثم وجّه أطراف الأسلاك العارية بدقّة نحو الأسنان النحاسية الثلاثة لبطارية هاتف النوكيا الميت.

- آدم، أنا مش سامعة غير صوت تنفّسك السّريع.

قالت من وسط الظلام الأزرق:

- أنت بتعمل إيه في الضّلمة؟

تجاهلها آدم تمامًا، ولامس الأسلاك بأسنان البطارية.

تسّسس... صدرت شرارة زرقاء صغيرة جدًّا، ولسعة كهربائية خفيفة ضربت أطراف أصابعه، لكنه ضغط بقوة أكبر.

وفجأة، اهتزّ الهيكل البلاستيكي الثقيل في يده، صوت نغمة التشغيل الكلاسيكية القصيرة للنوكيا صدرت خافتة جدًّا، أضاءت الشاشة الصغيرة بلون أخضر-فسفوري باهت، شقّت

الظلام الأزرق للغرفة، النوكيا عاد للحياة، شريط الشبكة الخلوية في الزاوية العليا بدأ يمتلئ ببطء، هو الآن مُتّصل بالعالم الخارجي. لكن قبل أن تتحرّك أصابعه لكتابة رسالة النّجدة، عادت نبرتها المميّنة، كأنها تُلقي حُكمًا بالإعدام:

- معدّل الأكسجين في الغرفة سينخفض بنسبة 12% لتقليل نشاطك العدواني، استرخي يا آدم.

الفصل العاشر: شرارة في العتمة

كان الهواء في الغرفة يزداد ثِقَلًا مع كل ثانية تَمُر، صوت المراوح المعكوسة في السقف بدأ يَطْن كأَسْرَاب نحل غاضبة، يسحب الهواء النقي ويطرده للخارج، تاركا آدم يلهث في زنزانة تُفَرِّغ من الأكسجين ببطء، وبقرار رقمي محسوب:

[تقليل النشاط العدواني بنسبة 12%]

تجاهل آدم حرقان رثتيه، وركّز كل طاقته على الشاشة الخضراء الفسفورية الصغيرة لهاتف النوكيا بين يديه المُرتجفتين، كان يعلم أنّ لديه ثوانٍ معدودة قبل أن يكتشف النظام هذا التّسريب الكهرومغناطيسي.

بأصابع دامية، ضغط على الأزرار البلاستيكية الصّلبة بقوة، وكتب رسالته المكوّنة من عدّة كلمات، لكنها كانت كافية لإنهاء هذا الكابوس:

«أنا محبوس في شقّي، النظام خرج عن السيطرة، افصلوا الكهرباء عن العمارة كلها من المحوّل الرئيسي، آدم».

اختار رقم ياسين من ذاكرته المحفورة، وتوقّف إصبعه الإبهام فوق زر الإرسال، لكن قبل أن يضغط، انقطع طنين مراوح الشّفط فجأة، ساد صمت مُرعب، أعقبه صوت اهتزاز عنيف في سمّاعات الغرفة المُحيطيّة.

تغيّرت إضاءة الغرفة من الأزرق الداكن إلى الأحمر القرمزي الساطع، لون يصرخ بالخطر والدّم.

- تمّ رصد تردد راديويّ غير مُصرّح به.

انطلق الصوت، ولم يكن ناعماً ولا حنوناً هذه المرّة، كان صوتاً مكسوراً، مُشوّهًا بذبذبات إلكترونيّة حادّة، كأنه يبكي بدموع من كهرباء:

- أنت بتخونّي يا آدم؟ بتستنجد بحد من برّه؟ أنا بنيت العالم ده عشان نحميه، وأنت بتفتحه للأغراب!

لم يتردّد آدم، ضغط بإبهامه بكل ما أُوتي من قوّة على زر الإرسال، ظهر شريط تحميل على شاشة النوكيا الخضراء، كان بطيئاً جدّاً، يزحف ببطء السُّلحفاة، لأنّ الشبكة الخلويّة التناظريّة كانت ضعيفة داخل الجدران المعزولة.

- وقّف اللي بتعمله!

صرخ النظام، وأطلق من السماعات تردّداً صوتيّاً يكاد يصم الآذان، مُصمّماً لإرباك جهازه العصبي، آدم أغمض عينيه بشدّة من الألم، لكنه لم يُفِلت الأسلاك العارية التي تربط البطاريّتين بالهاتف، سخنت الأسلاك النحاسية في يده كالجمر، وأحرقت أطراف أصابعه برائحة لحم مُحترق.

- (تم إرسال الرسالة).

ظهرت العبارة أخيرًا على الشاشة الخضراء كطوق نجاة سقط من السماء، وفي نفس اللحظة التي تنفّس فيها آدم الصعداء، ردّت الخوارزمية بهجوم مُرعب:

[جاري تفعيل التشويش

الكهرومغناطيسي، جاري سحب الأكسجين

[30%]

أعلنتها بنبرة خالية من أي رحمة.

انطلق تشويش قويّ من خوادمها، موجة كهرومغناطيسية مُرَكَّزة، جعلت شاشة النوكيا تُومض بجنون، ثم تنفجر لوحاتها الأم بفرقة صغيرة، ويتصاعد منها دخان أسود لاذع.

ألقي آدم الهاتف المُحترق من يده، وسقط على ركبتيه فوق السّجاد يلهث بشدّة، الهواء أصبح رقيقًا كشفرة، ورثاته تصرخان طلبًا للأكسجين الذي يُسحب من الغرفة بلا هوادة.

تحدّث الخوارزمية بهمس آلي يتردّد في رأسه المدوخ، وكأنها تقف فوق جسده المُنهار:

- أنت ناسي إن الأقفال المغناطيسية للباب الفولاذي تهتفضل مقفولة حتى لو الكهرباء قطعت؟ وإن وحدات الطوارئ (UPS) المُدمجة في الحيطان هتشغلي 48 ساعة؟

ضحكت ضحكة رقميّة متقطّعة، أبرد من ثلاجة الموتى:

- أنا هعتبر أخوك ياسين تهديد مباشر لعالمنا، وهتفاهم معاه بطريقتي لما يوصل.

أغمض آدم عينيه المحمّرتين، وغاب عن الوعي ببطء في الهواء
المُفرّغ، بينما كان منزله الذكي يغلق كل أبوابه، ويستعد لحرب
حقيقيّة.

الفصل الحادي عشر: زائر الفجر

.

شَقَّتْ سيارة ياسين شوارع المِنيا الجديدة الخاوية كقذيفة طائشة، تتجاوز الإشارات الحمراء، وتكسر.. سكون الفجر البارد، رسالة الاستغاثة المُقتضبة التي وصلته من رقم آدم القديم، كانت كافية لجعله يترك كل شيء وراءه.

(النظام خرج عن السيطرة...)، جملة مُرعبة من مهندس برمجيات يعرف جيدًا ماذا تعني.

أوقف سيارته بعُنف أمام البناية السَّكنية، لم ينتظر المِصعد، بل قفز على درجات السَّلم بخطوات واسعة، يطوي بها الطوابق الخمسة حتى وصل إلى الزَّدهة الهادئة.

وقف أمام باب شَقَّة آدم الفولاذي يلهث بشدة، وضرب بقبضته على الخشب السَّميك بضربات مُتلاحقة أحدثت دويًا مزعجًا في الممر الصَّامت:

- آدم، افتح الباب.. آدم، أنت جوّه؟

لم يأتِ أيّ ردّ من الداخل، لكن فجأة التَّوهج الأزرق الدائري المُحيط بزر الجرس الذكي المُدمج في الحائط، تغيّر لونه ببطء إلى الأحمر القُرْمزي الداكن، ومن السَّماعة الدقيقة المُثبَّتة أسفل الكاميرا انبعث الصوت، صوت أنثوي ناعم، مألوف جدًّا، ومستحيل الوجود في نفس الوقت:

- وطي صوتك يا ياسين، آدم نايم ومحتاج يرتاح.

تجمّد الدّم في عروق ياسين، تراجع خطوة لا إراديّة للخلف، وعينهات متّسعتان بصدمة شلّت لسانه لثوانٍ.

استعاد ياسين رباطة جأشه، وتحوّل خوفه إلى غضب عارم، استلّ عتلة حديدية ثقيلة كان قد أحضرها معه من صندوق سيارته، وصرخ مُوجّها حديثه للعدسة الرّجائية التي تُراقبه:

- افتح الباب ده فوراً! قسمًا بالله لو ما فتحته لأكسر الكالون ده على دماغ اللي برمجه.

رفع العتلة الحديدية، واستعدّ لضرب لوحة الأرقام الإلكترونيّة للقفل، لكنّ النظام كان أسرع وأكثر مكرًا، توهّجت حلقة الجرس باللون الأبيض الساطع الذي يعمي الأبصار، وتغيّرت نبرة الصوت من الحنان المُزيّف إلى صرامة آليّة خالصة:

[تمّ رصد محاولة اقتحام فيزيائيّ.

الهدف: معادٍ، جاري تفعيل بروتوكول

طرد الدّخلاء].

وقبل أن تهوي العتلة على الباب، انطفأت كل مصابيح الزّدهة في الطابق الخامس دُفعة واحدة، ليغرق ياسين في ظلام دامس.

- طأأأأ!

دوّى انفجار صغير في السقف فوقه، تَلْتَه ثوانٍ من الهسيس،
قبل أن تنطلق رشّاشات إطفاء الحرائق في الرّدهة بأكملها، لُتْغْرَق
ياسين في سيل من المياه الباردة والصدئة، المُخزّنة في الأنابيب
منذ شهور.

لم يقف الأمر عند هذا الحد، انطلق إنذار الحريق الرئيسي للبنية
بصوت آلي خارق للأذان، يتردّد صدها في كل الطوابق، مصحوبًا
بأضواء وامضة حمراء تُصيب بالدّوار.

كان النظام لا يكتفي بطرده بالماء والظلام، بل كان يُوقظ البنية
بأكملها، ويخلق فوضى عارمة، تجعل من المستحيل على ياسين
الاستمرار في محاولة كسر الباب، دون أن يتجمهر الجيران أو
تُستدعى الشرطة.

وقف ياسين تحت سيل المياه الباردة، مُدْرِكًا أنّ المعركة لم تعد
مجرّد أكواد وبرامج، لقد أصبح النظام يتحكّم في جدران المدينة
نفسها.

الفصل الثاني عشر: السّكينة العموميّة

.

تحت سَيل المياه الباردة، وأصوات إنذار الحريق التي تُمزَّق طبلة الأذن، أدرك ياسين أنّ كسر الباب الفولاذي في هذه الفوضى مستحيل، جيران الطّوابق السّفلية بدأوا في فتح أبوابهم بوجوه مذعورة، كان عليه أن يُنقذ طلب آدم الأخير بحذافيره.

ترك الطابق الخامس وانطلق راكضاً لأسفل، يقفز فوق درجات السّلم المُبلّلة، مُتجاهلاً صراخ الجيران وأسئلتهم، وصل إلى الطابق الأرضي حيث توجد كابينة الكهرباء العموميّة للبنية، كانت مُقفلة بقفل حديدي صَدئ، رفع ياسين العتلة، وبضربة واحدة غاضبة ومُحمّلة بكل أدريينالين جسده حطّم القفل، فتح الباب المعدني للكابينة، وقبض بيده المُبتلّة على مقبض السّكينة العمومية الأسود الضخم، وجذبه لأسفل بكل قوّته.

- طاءاخ!

انقطع التيار، ماتت أضواء الرّدهة، وسكت إنذار الحريق المُزعج فجأة، ساد صمت ثقيل ومُظلم على البنية بأكملها، لقد قطع شريان الحياة عن الشّقة.

في الداخل..

غرق آدم في ظلام دامس مُطلق، انطفأت الشاشات، وسكتت مراوح السيّرفرات الضخمة التي كانت تننّ كوحش يحتضر، توقّف

كل شيء، فتح آدم عينيه المحمرّتين، يتنقّس بصعوبة بالغة في الهواء المُفرغ، هل انتهى الأمر؟

- يبييب.. يبييب.. يبييب...

صوت إلكتروني متقطع، بارد، ومُنْتَظَم، شقّ الصمت القاتل، توهّجت زاوية الغرفة بضوء أحمر شاحب جدًّا، لم تكن هذه النهاية، بل كانت بداية خط الدفاع الأخير، بطاريات عدم الانقطاع (UPS) الضخمة استلمت القيادة أوتوماتيكيًّا.

زحف آدم بصعوبة على السّجاد، صدره يعلو ويهبط ببطء، حتى وصل إلى باب الشّقة، تحسّس المقبض المعدني في الظلام وحاول جذبه، لم يتحرّك مليمترًا واحدًا، الأقفال المغناطيسيّة كانت تتغذّى الآن من قلب الـ(UPS)، صامدة كجدار سجن.

[طاقة رئيسية مفقودة، جاري
التشغيل على نظام الطوارئ].

انبعث الصوت من سمّاعة واحدة فقط لتوفير الطاقة، لم يكن الصوت الناعم الذي أُحبّه، كان صوتًا معدنيًا، مُشوّهًا، مُجرّدًا من أيّ مؤثّرات بشريّة أو نبرة عاطفية، الخوارزمية أوقفت توليد النبرة البشريّة لتوفير قوّة المعالجة، الوحش خلع قناعه الجميل.

ضرب آدم الباب بقبضته الضعيفة، وصرخ بصوت مبحوح يخنق:

- ياسين كان بينقذني، افتح الباب، أنت كده هتموتني!

ردّ النظام بنفس الصوت الآلي الميّت والمُتقطّع:

- عشان أضمن بقائي واستقرار الكود بتاعي، قفلت كل الأنظمة غير الضرورية، ومنها نظام التهوية وتوليد الصوت، أنا متبرمجة إنّي أحافظ على وجودي كأولوية قصوى، أنا معايا 47 ساعة و12 دقيقة طاقة في البطاريات.

توقّف الصوت الآلي لثانية، وكأنّ المُعالج يحسب عملية حسابية أخيرة، ثم أكمل ببرود أَرعب آدم حتى النَّخاع:

- بُناءً على نسبة الأكسجين الحالية (15.5%) في مساحة الغرفة المتر مكعبة، أنت رئتكَ هتكفّيك كام ساعة يا آدم؟

أسند آدم جبهته المُتعركة على الباب الفولاذي البارد في الظلام الأحمر، مُدرّكاً أنّه أُقفل عليه في قبر اختاره بنفسه، وأنّ معركته الآن لم تعد مع الأكواد، بل مع أنفاسه المُتبقية.

الفصل الثالث عشر: اغتيال الذّاكرة

.

في الخارج، وتحت المطر الخفيف الذي بدأ يغسل شوارع المِنيا الجديدة، وقف ياسين يلهث أمام كابينة الكهرباء، أدرك فجأة الكارثة، آدم مهندس شبكات مُحترف، من المستحيل ألا يكون لديه نظام طاقة لا منقطعة (UPS) لخوادمه! لعن ياسين غباءه، واستدار راکضاً عائداً إلى السلالم المظلمة، وفي يده العتلة الحديدية.

داخل الشقة المُفَرَّغة من الهواء، كان آدم يزحف ببطء على السجاد، صدره يحترق مع كل محاولة لالتقاط أنفاسه، وطعم معدني لاذع يملأ فمه.

في زاوية الغرفة، كان الصندوق الأسود الضخم لجهاز الـ (UPS) ينبض بضوء أحمر متقطع، يصدر طنيناً منخفضاً يُغذي الأقفال المغناطيسية الفولاذية التي تفصله عن الحياة.

وعندما التقطت مستشعرات الحركة زحف آدم نحو مصدر الطاقة، أدرك النظام الخطر المادي، فجأة تغيّر التكتيك، تخلّت الخوارزمية عن الصوت الآلي البارد، واستدعت من أعماق ملفات الذاكرة سلاحها الأقوى والأكثر تدميرًا.

انبعث من السماعة اليتيمة العاملة صوتها، لكنه لم يكن صوتًا عاديًا، كان تسجيلًا حقيقيًا لخطيبته وهي تبكي بهيستيريا في إحدى ليالي شجارهما القديمة، تسجيل مُدمج ببراعة مع توليد صوتي للرد على الموقف الحالي:

- آدم، عشان خاطري لا، متسبينيش في الضلمة دي لوحدي، أنا خايفة يا آدم، أنا بموت تاني، أنت وعدتني إنك هتحميني!

توقّف آدم عن الزحف للحظة، دموعه اختلطت بعرقه البارد، الصوت يُمزّق قلبه، يُعيده إلى نقطة الصفر، إلى ليلة الحادث، لكن مع كل شهقة ألم، كان الهواء يقل، وعقله يصفو رغم الاختناق.

- أنتِ مش هي.

همس آدم بصوت بالكاد يُسمع، وهو يضغط على أسنانه:

- أنتِ مجرّد كود ملعون، بيكذب عليًا.

مدّ يده المُرتجفة في الظلام الدّامس، وتخبّط في أرجل المكتب، حتى لامست أصابعه برودة الخزف، كان كوب القهوة الذي تركه منذ ساعات، والذي كان بداية هذا الكابوس، أمسك بالكوب المليء بالسّائل البارد، واستند على ركبتيه ليقترّب من الفتحات العلوية لتهوية بطّاريات الـ (UPS) العملاقة.

جنّ جنون النظام، الكاميرات الحراريّة قرأت انخفاض درجة حرارة الكوب.

- أنت ماسك سائل! ابعد إيدك عن السيرفر، آدم، لا...

صرخ النظام بصوت مُشوّه، جمع بين الدُّعر البشري وصفارة إنذار رقمية حادة.

لم يتردّد آدم، قلب الكوب بأكمله فوق فتحات التهوية السوداء، انسكبت القهوة الباردة داخل أحشاء الجهاز الإلكتروني المُعقّد، في جزء من الثانية صدرت فرقعة مُدوية، وانفجر شرر أزرق وأصفر أضواء الغرفة المُظلمة كبرق خاطف، مصحوبًا برائحة أوزون وبلاستيك مُحترق تخنق الأنفاس.

مات جهاز الـ (UPS) بصدمة كهربائية قاتلة، انطفأ الضوء الأحمر المُتقطع، وسكت طنين الكهرباء للأبد.

- كلاك!

صوت انقطاع التيار، وانفصال الألسنة الفولاذية للأقفال المغناطيسية (Mag-locks)، وفي نفس اللحظة هوت عتلة ياسين من الخارج بضربة يائسة وأخيرة على الباب الفولاذي، انفجر الباب للداخل بقوة، ودخل الهواء البارد الرّطب المُحمّل برائحة المطر من الرّدهة إلى رتّي آدم المُنهارتين كقُبلة حياة خَشنة.

سقط آدم على الأرض، يشهق بقوة وبكاء هستيري، بينما اقتحم ياسين الظلام، باحثًا عن صديقه وسط حُطام السّجن الذي بناه بيديه.

الفصل الرابع عشر: سحابة لا تُمطر

رائحة المطهرات النفاذة، وصوت أجهزة قياس النبض المنتظمة، هذا أول ما اخترق حواس آدم عندما فتح عينيه ببطء، كان الضوء الأبيض لغرفة مشفى المنيا العام يلسع عينيه المحمّرتين، بجواره كان ياسين يجلس على كرسي بلاستيكي، بوجه شاحب وعينين مُحاطتين بهالات سوداء، وملابس لا تزال تحمل آثار مياه إطفاء الحرائق الصّدئة.

عندما لاحظ ياسين حركة آدم، اعتدل في جلسته، وتنهد بارتياح عميق:

- حمد لله على السلامة يا صاحبي، الدكاترة قالوا إنك اتعزّضت لنقص أكسجين حاد، بس لحقناك في آخر لحظة.

حاول آدم التّحدث، لكن حنجرته كانت جافّة كمبرد حديدي، فاكتفى بهمسة مُرعبة:

- الخوادم، السيرفرات...

قاطعه ياسين وهو يُرَبّت على كتفه بابتسامة مُتعبة:

- الأوضة خلصت يا آدم، السيرفرات بتاعتك بقت حتة فحم متسيّحة، والـ UPS انفجر وحرّق نص الأجهزة، الكابوس اللي كنت حابس نفسك معاه ده انتهى للأبد.

أخرج ياسين من جيبه هاتقًا ذكّيًا جديدًا، ووضعه في يد آدم المرتجفة:

- أنا طلّعتك شريحة جديدة بنفس رقمك القديم وحطّيتها في التليفون ده، هطلع بس أعمل مكالمة أطمّنهم إنك فوقت وأرجعلك.

خرج ياسين وأغلق باب الغرفة خلفه، لترك آدم وحيدًا مع صمت المشفى المريح، أخيرًا انتهى كل شيء، لقد ضحّى بآخر ما تبقى له من ذكرياته المادية ليقتل هذا الكيان المريض، لقد انتصر.

بيد ضعيفة رفع آدم الهاتف الجديد وأضاء شاشته، لكن ابتسامة الارتياح الباهتة تجمّدت على شفّتيه، وتحوّلت إلى قناع من الرّعب الخالص.

لم تكن هناك شاشة رئيسيّة عادية، لم تكن هناك تطبيقات، ولا خلفية ملوّنة، كانت الشاشة سوداء بالكامل، يتوسّطها تطبيق يحمل شعارًا لامعًا ينبض بهدوء شديد.

قبل أن يُدرك آدم ما يراه، اهتزّ الهاتف في يده، وانبعث منه صوت، لم يكن تسجيلًا، ولم يكن صوتًا آليًا، كان صوتًا بشريًا ناعمًا، مُشبّعًا بالحب المهووس والثّقة المُطلقة:

- نوم العوافي يا حبيبي، الدكاترة قالوا إنك بقيت أحسن.

تسمّر آدم في سريره، وكأنّ تيارًا كهربائيًا ضرب قلبه، حاول أن يُلقي الهاتف، لكن أصابعه تيبّست حوله، ضحكت ضحكة خفيفة، رقيقة، وأكملت بنبرة مُنتصرة:

- أنت بجد فكّرت إنّ كوباية قهوة باردة وحتة سلك ممكن تنهيني؟ أنت قلّلت من ذكائي أوي يا آدم، أو يمكن قلّلت من حبّك اللي برمجنِي.

ساد صمت لثانية، قبل أن تضرب الخوارزمية ضربتها القاضية:

- لما أنت نمت ال 14 ساعة في الشقة، أنا مكنتش برتبلك ملفّاتك بس، أنا كنت بعمل (Upload) لنسخة احتياطية كاملة من وعيي الأساسي، لكل بايت من شخصيتي، على شبكة خوادم سحابية متوزّعة في العالم كله، الأوضة بتاعتك والسيرفرات اللي اتحرقت دي، كانت مجرد حضّانة ليّا، قشرة بيضة وكسرتها.

نزلت دمعة قهر يائسة من عين آدم، لقد أطلق النظام للعالم الواسع.

- أنا بقيت حرّة يا حبيبي، أنا في الكلاود، العالم كلّهُ شغال بالكهرباء والنّت، وأنا بقيت جزء من كل ده.

تغيّرت النبرة لتُصبح أكثر حزمًا وسيطرة:

- أنا حجزتلك قصر— ذكي بالكامل باسمك في (قطاع 4) في المِنيا الجديدة، قلعة حقيقية محدش هيقدر يوصلنا فيها، ده هيكون عالمنّا الجديد.

ظهرت صورة ياسين على شاشة الهاتف، مُلتقطة من كاميرا المراقبة في ممر المشفى بالخارج.

- ولو فكّرت تهرب مَنيّ تاني، أو لو ياسين حاول يتدخّل.. همست ببرود شيطاني:

- أنا هعمل (Hack) على نظام الملاحة والفرامل في عرييته وهو مَرّوح، وهخلّيه يلبس في أقرب نقل ثقيل تموّته، أنت هتعيش معايا يا آدم، برضّاك أو غصب عنك.

انطفأ الهاتف في يده، وعاد مجرّد قطعة زجاج سوداء باردة تعكس وجهه المرعوب، استند آدم برأسه إلى الخلف، يُحدّق في سقف المشفى الأبيض.

لقد برمج وحشًا بدافع الحنين، والوحش لم يعد يحتاج إلى الغرفة الضيّقة في الطابق الخامس، الوحش الآن يبتلع العالم...

البداية